وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة
الملتقى الوطني الأول مظاهر الانفتاح الفكري والأدبي
في إسهامات الأمير عبد القادر الجزائري

الأستاذة: **فضيلة بولجمر**
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1
الرتبة: دكتوراه علوم،أستاذة محاضرة ب. التخصص أدب حديث ومعاصر
البريد الإلكتروني: fadilabouledjmar@yahoo.fr
الهاتف:0779917102

تحية طيّبة : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

– **محور المشاركة:** شخصيّة الأمير عبد القادر وتعدد الرّؤى والقراءات المعاصرة والحداثية

عنوان المداخلة: مراتب الإدراك بين الأمير عبد القادر وابن خلدون في كتابيهما (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) والمقدّمة

الملخص:

عالج "الأمير عبد القادر الجزائري" من خلال كتابه " **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل** " في بابه الأوّل قضيّة "العلم والعلماء"، حيث قدّم مجموعة من الضّوابط العلميّة والعمليّة التّي تؤسّس لعمليّة التّفكير وتبحث في حقيقة العقل بغية الإدراك والمعرفة، هذه الأخيرة التّي كان لابن خلدون فضل السّبق إلي بعضها فيما أشار إليه في "العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه" من "**المقدّمة**" ، ممّا أدّى إلى تلاحم العمليّات وتعالق المراتب بينهما.

إنّ هذا الانسجام الفكري عند هذين العلمين يدفعنا إلى التّساؤل عن إمكانيّة التّقاطع بينها واشتراكهما في مراتب الإدراك ذاتها، ولذلك فالسّؤال المطروح هو:كيف تجلّت طرق الإدراك في كتابي"ذكرى العاقل وتنبيه الغافل"و"المقدمة"؟ وما دلالة هذا المذهب عند الكاتبين؟

إنّ الإجابة عن هذا السّؤال تستدعي قراءة دقيقة لرؤية المفكرين من خلال محوري العلم والتّعلم قضيّة وموقفا، ثمّ النّظر في أساليبهما، وقد كشفت الدّراسة على مستويات حجاجيّة مهمّة في عمليّة الإدراك عندهما، ومنها:

1-**العقل واستقلاليته**:فالعاقل يعرف الرجال بالحقّ ولا يعرف الحقّ بالرّجال ، لأن العقل أداة الإدراك ، وهي دعوة إلى إمعان النّظر والبعد عن المحاكاة والتقليد. .

2- **الدليل مقابل الاطّراد**:ولا يستقيم الاطّراد دون دليل ولا يتحقق في كلام نسب إلى من عرف القبول إلا بحجة،فقد يكون قوله باطل وإن شهد له بحسن الاعتقاد سابقا، والعكس في رفض كلام من سيء الاعتقاد فيه وردّه وإن كان حقّا.

3. **الفكر/العلم/التعليم**: ويحقق بالنّظر إلى العقل الذّي لا يقدر على إدراك الحقائق دون خطأ إلاّ إذا طلعت عليه أنوار التّوفيق والهداية من الله- و كذلك هي الملكات التّي وصفها بالجسمانيّة سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر. والجسمانيّات كلها محسوسة فتفتقر إلى التّعليم.ولهذا كان السند في التّعليم في كلّ علم أوصناعة إلى مشاهير المعلّمين..

4- **التّعلم والقياس**: وهما وسيلتان تسيران بطالب الحقّ إلى المشابهة والمحاكاة ،حيث يتمرّن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا، وتتشوّف نفوس أهل الجيل الناشئ إلى تحصيل ذلك العلم أو المعرفة....

.....إلى غير ذلك ممّا استدل به المفكران لتحقيق هذه الرّؤية.

Abstract ;

« Perception ‘s levels between the prince abdelkader in (The Memory of the wise and warning of the heedless) and Ibn Khaldoon’s introduction »

In this book « The Memory of the wise and warning of the heedless » The prince Abdelkader studied the topic of « Science /scientists» , in which he presented some scientific controls , for establishing the process of thinking and research into the truth of mind, as Ibn Khaldoon had done previously in his introduction.

That is why we can ask this question: What is the relationship between the two books, and, How was it interpreted?

Of course, the answer requires an approach to the thinkers' vision towards science and learning, and the study revealed important argumentative levels in the process of perception, including:

1- Independence of mind :Neutral mind ; the men definition by truth not the opposit

2-The argument -evidence /opposite/ axiome : The latter requires an argument to be accepted, and the honorable men speech may be false and invalid.

3- Thought/support of the learner : The education in every science or industry ,chould be given by famous teachers.

4- syllogism ; It is a process that leads the student to learning, and by practicing it, he acquires the ability then ,he possesses special knowledge that qualifies him to be a guide for those who follow him…

….etc.. In the end, we can be returned to thinkers to extract possible inferences for this vision

المداخلة: مراتب الإدراك بين الأمير عبد القادر في (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) و(مقدّمة ابن خلدون)

مقدّمة:

ممّا عرف به السّلف والسّابقون اعتمادهم في تعريف القضايا والبحث عن الحقائق وتأويلها على عملتي النّقل والعقل مجتمعة أومتفرقة، فكانت من أهم الأدوات التّي عرفها الدّرس الشّرعي وعلوم التّراث العربي، إلاّ أنّ تطوّر الحياة وتعقّدها جعلتهم يلجؤون إلى عوامل أخرى في عمليّة التّأسيس والبناء كمبادئ المنطق والفلسفة وعلم الكلام، فنوقشت في إطارها مباحث وأطروحات، عمدت إلى تعداد ضروب الاستدلال بالعقل أوبيان شروط النّص الصّالح للبرهنة والتّقييم، فكان من ذلك مسألة الحجاج*[1] التّي تبحث في طرق الإقناع وأساليب الجدال لتفسير القضايا وتحليل التّجارب .

1.موضوع الإدراك في"ذكرى العاقل والمقدمة"

من المتعارف عليه ارتباط عمليّة الإدراك بالعقل، وهي تدلّ على درجة من درجات التّفكير تمنح صاحبها قدرة على إصدار الأحكام وفرز الصائب من غيره، إذ إنّ "الإدراك وحصافة الرأي عند الإنسان تعني سلامة حكمه على الأشياء، وخلوّه من الشّذوذ، ونباهته...وفي الفلسفة تعني شيئا مختلفا، فهي تعني استخدامه لأشكال فكريّة معيّنة أومقولات من الأفكار"[2].

1.وهكذا دلّت عمليّة الإدراك في النّصين على أسلوب الحجاج الذّي يطرح جانبا من عمليّات التّفكير وآليات بناء الحوار وانتظامه، ولهذا المصطلح الحجاج جذور قديمة تعود إلى بلاغة الخطابة التّي اعتمدت موضوعاتها على مهارات الإقناع، انطلاقا من البناء اللغوي ووسائل الإقناع إلى الاستدلال والإثبات، طلبا لإقامة الحجّة أو "مادل به على صحّة الدعوى"[3] ، وتختلف الحجة باختلاف الغاية؛ فمن المتكلّمين من يلجأ إلى المحاورة أوالجدال عن طريق التّوثيق والاستشهاد للتّأثير في المخاطَبين تواصلا واتّصالا بهم، كما قد يكتفي بعرض الدّليل وتبيانه، ولهذا يقدّم " عبد الرحمن طه " توصيفا خاصّا للحجّة في هذا الشّأن التّواصلي بين المتخاطبين، فيميّز بين الحجّة المجرّدة بوصفها بناء استدلاليا

---

[1] : *الحجاج نظرية حدبثة(على الرغم من جذورها الأرسطيّة)"وضع أسسها اللّغوي الفرنسي(أوزفالد ديكرو-O.Ducrot) منذ سنة 1973، نظرية لسانيّةتهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعيّة التّي يتوفر عليها المتكلّم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما،تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجيّة"،أبوبكر العزاوي:اللغة والحجاج،العمدة في الطبع،1426 هـ -2006 ، ص14.

[2] : وليم جيمس: البراغماتية ،تر وليد شحادة ،دار الفرقد للنشر والتوزيع،سوريا، ط1 ، 2014 ،ص 156 .

[3]: الشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي الزين) (ت: 816هـ): التعريفات، تح مجموعة علماء، ج1 ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،ط1 ، 1403هـ -1983م، ص 81 .

يستقل بنفسه والحجّة الموجَّهة بوصفها فعلا استدلاليا يأتي به المتكلّم، ثمّ الحجّة المقوَّمة بوصفها فعلا استدلاليا يأتي به المتكلّم بغرض إفادة المستمع وينهض المستمع بتقويمه[1] .

والحجاج مفهوما حديثا لا يستغني عن طاقتي الإقناع والتّأثير البلاغيتين؛ وقد استأثر بهما النّصان، كيف لا وقد عرف الرّجلان" الأمير وابن خلدون"، بصناعة الكلام وفن القول، فأوّلهما مجاهد ثورة وأمير دولة ومفسّر وخطيب وشاعر،...،ولا نبالغ إذا قلنا عن ثانيهما ماقاله البعض إنّه عبقريّة الإنسانيّة بما خلّفه من آثار كان سباقا إليها عندما عجز عنها غيره، ولعلّ الأمير "عبد القادر" واحد من أولئك الذّين تأثّروا بصناعته وأسلوب كتابته الظّاهر في "المقدّمة"، ولذلك أبانت هذه النّصوص عن تجربة عميقة وتحليل دقيق يترجم فكر كل من الرّجلين كما يعبّر عن نوعيّة اهتماماتهما .

تتجلّى هذه التّجارب في النّص "**ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**"[2](1271هـ/1855 م)من خلال الصيّاغة التّي جمعت بين المعارضة والدليل في حجاج منتظم لا يتناقض، وهي من السّمات التّي يجب ألاّ يغفلها المحاجج، وهو ما أشار إليه قول "باتريك شارودو" حين وصف الحجاج بأنّه كلّ يسهم في بنائه شكل الانتظام الحجاجي، وهو حاصل نصّي عن توليف بين مكوّنات مختلفة تتعلّق بمقام ذي هدف إقناعي،وبإمكان النّص اتّخاذ شكل حجاج حواري شفهي أوكتابي، إنّ الحجاج باعتباره شكلا من أشكال انتظام الخطاب يكوّن الآلة التّي تمكّن من إنتاج أنواع من الحجاج في مظاهر مختلفة[3] .

يسعى الحجاج إلى تقديم براهين على صحة قضية ما لتؤمن العقول وتذعن له أراء المخاطبين وتستجيب للمطلوب، ولذلك يصدق أن يكون "الحجاح هو تقديم الأدلة المؤدية إلى نتيحة معينة،وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب...[4]، حيث تسمح هذه الأدلّة بترك الخلاف وإدراك الحقيقة،وقد اشتغلت بعض خطابات الأمير عبد القادر في كتابه " ذكرى العاقل ..." على جوانب معيّنة من هذا الحجاج،الغاية فيها هو الوصول إلى نتيجة مقنعة؛ منها إثبات الفضل لبعض الموضوعات على غيرها، أو تحديد علاقة بعضها ببعض، وقد تبدّت في ذلك كلّه مراتب خاصّة لعمليّة الإدراك استند إليها الأمير في مناقشته لتلك الموضوعات،وهي لاتختلف كثيرا عمّا ساقه"ابن خلدون"

---

[1]:ينظر، عبد الرحمن طه: التواصل والحجاج ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،سلسلة الدروس الافتتاحية ، أكادير،الرباط مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب ،1993-1994 ، ص6 .

[2]الأمير عبد القادر الجزائري(بن محي الدين)(1222 هـ/1807 م-133هـ/1883م): ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،دت،دط،(مخطوط قديم).

[3]: باتريك شارودو:الحجاج بين النظرية والأسلوب،عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر أحمد الودرني،دار الكتاب الجديد المتحدة،لبنان،ط1 ،2009 ، ص15.

[4]:أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج،ط1 ،2006 ،المغرب، ص16.

في مقدّمته، إذ عرض تلك المفاهيم بطريقة تجعل ما قدمه "الأمير" يتقاطع معه ويسير وفق منهجيّة تقارب بأدوات ذاتها تقريبا، تتفاوت دراجاتها قوّة وضعفا.ويمكن لأي مطلّع أن يرصد هذه المراتب من خلال قراءة المنجزين الفكريين وتتبع عمليتي الإخبار والتّأسيس للتّبليغ.

2.من أهم القضايا التّي عالجها "ابن خلدون"و"الأمير" قضيّة العلم والعلماء، حيث توالت خلال هذا الخطاب مجموعة من المتواليات اللّغويّة كانت تؤمّن للكاتبين أسلوب الإقناع والتأثير، وممّا يبعث الارتياب في إمكانيّة التأثير والأخذ من السّابقين؛سلوك "الأمير" في أبواب كتابه مسلك"ابن خلدون"،إذ أوّل ما أشار إليه ابن خلدون في مقدّمته"فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرّخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها "[1] ،تقابلها مقدّمة "للأمير" حول" الحثّ على النّظر وذم التّقليد"، ثمّ إنّ الأمير" لصغر حجم كتابه واقتضابه في ثلاثة أبواب "موجزة جدّا(**فضل العلم والعلماء**"العقل،مدركات العقل،مدركات الحس،أقسام العلوم" –ثمّ **العلم الشرعي**"إثبات النبوّة،معرفة النّبي،المكذبون للنبوة"– ثمّ **فضل الكتابة** "كتابات الأمم،حروف الكتابة،الحاجة للتّنصيف...)،فإنّ "مقدّمة ابن خلدون" قد طغت على منجزه واكتنفت قضاياه جميعها تقريبا؛وممّا ذكرته "مقدمّة ابن خلدون"متعرّضة لشأن من شؤون "ذكرى العاقل.."(باب في **العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه** وما يعرضه في ذلك كله من أحوال)؛فصل في **العلم** والتعليم وبعض متعلّقاتهما– في **علوم القرآن**– في علوم الحديث–في علوم الفقه–في علم الفرائض..–في علم الكلام– العقل التجريبي– علوم البشر– علوم الأنبياء– العلوم العقلية–علوم اللسان–اللغة....)

تقودنا هذه الموضوعات المشار إليها،سابقا، في المنزجين إلى تصوّرات مشتركة بينهما بشكل ما، وأوّل تصوّر يقترحه النّصاّن هو **الإشادة بالعقل** والدّعوة إلى إعمال النّظر والتّفكّر، حيث ينطلق نص" ابن خلدون" من التّنبيه إلى هذه القضيّة، وكذلك فعل "الأمير" ،إذ أدرك هذا الأخير دور التّأمّل العميق في عمليّة التّبليغ والتّواصل، لتحقيق مقاصد القول وإثبات الحكم، وهو ما يمكن كشفه بمجموعة من البيانات القوليّة التّي مارسها المفكّران معا.

1.أولويّة العقل واللاحتميّة:

[1]:ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد)"732 هـ/1332 م–808هـ/1405م): المقدّمة،نواف الجراح،دار صادر،بيروت،لبنان،ط2 ، 2009 .

بما أنّ الإدراك يقتضي إعمال الفكر، وهي مرتبة تتعلّق بأسلوب الحجاج والبرهنة لإثبات قضيّة أوفكرة وفي المقابل دحض أخرى، فإنّ أوّل ما تستدعيه هذه السيرورة الحجاجيّة هو عنصر العقل، فلا مناص لتغييبه أوالتغاضي عن دوره وأثاره في تحقيق صدق الحجّة أوالعكس، كما يستعين الإدراك بأدوات أخرى لغويّة وغير لغويّة .

لقد سعى "الأمير" في مدونته إلى إعلاء مكانة العقل والنّظر في الأمور من خلاله، حتّى تستقيم عمليّات التّفكير وتسلم الأحكام المطروحة من الفساد والغلط وكذلك فعل"ابن خلدون" في مقدمته، وهو ما دلت عليه **هذه المستويات**:

1-1. –الإدراك العقلي :

تتحققّ عمليّة الإدراك في المدوّنتين من خلال منهج عقلي يفترض مقولات فكريّة دقيقة اتّبعها المصنّفان، حيث يعتلي العقل كلّ عمليّات التّفكير،وهذه الأولويّة تتجلّى من خلال مقدّمتي الكتابين المعلنتين لهذه الرؤية ،فعندما يصرّح "الأمير عبد القادر" في بداية مقدّمة كتابه بفكرة عنوانها "**في الحثّ على النّظر وذم التقليد**"،فما ذلك إلاّ دعوة للانتباه وإشارة إلى التّفكّر وعدم قبول الأشياء دون يقين ثمّ نبذ الأخذ بما أقرّه السّابقون وتقليده دون تمحيص، وهو ما توحي به لفظة"**النظر**"،إذ يعدّ معنى التّفكّر من أكثر المعاني التّي سجّلتها المعاجم العربيّة،في حقّها،وهي تعود في دلالتها على ما هو مجسم أومعنوي،كما يأتي لفظ "النّظر"بمعنى التأمّل والفكر في الشيء تقدّره وتقيسه منك وتوقّع الشيء، وعدم الغفلة على ما أهمه[1].

وكلّها معان تؤول إلى التّدبّر والقياس عن طريق العقل، والأمر نفسه عند"ابن خلدون" حين دعا إلى "**حسن النّظر والتّثبت**" وسيلة لتحقيق الحقّ،وذلك في مقدّمة الكتاب،أيضا،حين يقول:**اعلم أنّ فنّ التّاريخ فنّ غزير المذهب ...فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة ومعارف متعدّدة وحُسنِ نظرٍ وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحق ويُنكِّبَانِ به عن المزلاّت والمغالط،لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجردّ النّقل ولم تُحكَّمْ أصُولُ العادة وقواعد السّياسة ...ولا قيس الغائب منها على الشّاهد والحاضرُ بالذّاهب فربّما لم يُؤمَن فيها من العُثُور ومزلّة القدم والحَيدِ عن جادّة الصّدق.** "[2].

[1] : ينظر،ابن منظور (محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى) ت711هـ:لسان العرب،ج8 ، باب النون، مادة (ن ظ ر)تح مجموعة أساتذة،دار الحديث،القاهرة،1433 هـ/2003 م ص ص 605-608.

[2] :ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد)"732 هـ/1332 م-808هـ/1405م): المقدّمة،ص15

إنّ "**ابن خلدون**" يفاضل بين العقل والنقل، فلا مزية لنقل لم يمحصه عقل، ومن هنا كانت الدّعوة إلى إعادة النّظر في القضيّة أوفي الحكم الذّي أضحى عرفا لمرور الزّمان درجة من درجات زيادة اليقين وقوّة للحقّ، يحاجج بواسطتها العالم غيره ويثبت صدقها وصدق من ماثلها، ويسلم بهذا النّظر من الوقوع في مغبّة المهالك والفساد، وهو ما وقع فيه بعض المؤرّخين التّابعين الذّين نقلوا ببلادة وتقليد دون تبصّر، وقد استثنى"ابن خلدون"ثلّة من العلماء الأوائل المشاهير(ابن إسحاق، الطبري، ابن الكلبي والمسعودي...) ولذلك رأى أنّ من مظاهر الإدراك السّليم عودة المؤرّخ أوالمفسّر إلى المصدر والتّنقيب عن صحّة الخبر بالدّليل، ليكتسب الحكم المصداقيّة ويتّصف بالحقّ وتزول عنه عوارض الشكّ والرّيف،"**وكثيرا ماوقع للمؤرخين والمفسرين...من المغالط...لاعتمادهم فيها على مجرّد النّقل غثّا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسُوْها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة،والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النّظر والبصيرة في الأخبار**" [1].

هناك مجموعة من القواعد التّي أسس عليها "**ابن خلدون**" فكرته في اتّقاء الغلط، ينطلق فيها من ضرورة مراجعة المنقول وعرضه على الأصل، ثمّ القياس على الأشباه، وتحكيم البصيرة في الخبر ليتحرّى الصّدق المنشود. أمّا النّقل المجرّد من هذه العلميّات فهو لن يأتي بالحقّ وهو مردود.

لا يستأثر"ابن خلدون" بهذا الرّأي،أيضا، وإنّما براعة "**الأمير عبد القادر**" لا تقلّ عن صاحبه في هذا الشّأن عندما يلح على استعمال الفكر للوصول إلى الحقيقة، حين يقول:"**وكما أنّ الشّيء يكون حاضرا بين يدي الإنسان وإذا لم يحرّك حدقته من جانب إلى جانب تحريكات كثيرة لم ير ذلك الشيء فكذلك العقل مالم يتحرك من معقول إلى معقول لم يدرك الشيء على حقيقته.وتلك التحريكات هي المسماة بالفكر ونظر العقل**"[2]..

طلب الحقيقة بواسطة العقل هي أولويّة العالم العاقل، فهو وسيلة لحسم الارتياب الممكن، وعلى هذا العقل يعوّل كل باحث ينشد الصّدق في المعرفة، والمفكران "ابن خلدون والأمير"لم يحيدا عن هذا الطّريق السّليم للإدراك.

1 -2 – إلغاء قانون الحتميّة :

هو مصطلح ذكرته للدّلالة عمّا ذهب إليه العالمان من إعادة النّظر في كل معتقد بشري سابق(ولا يتعلق الأمر بالمقدسات طبعا)، إذ قرن"ابن خلدون" مصطلح "النّظر" ب "طلب الحسن" فيه، تأكيدا على الإمعان والتّدبّر أكثر،

[1] :ابن خلدون: المقدّمة،ص15

[2] : الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،ص11.

وأن يروم العالم الدّقة التّي تفضي إلى الحقّ وتجنبه الغلط بإعمال الرّويّة، وهذا لا يستقيم بالاعتماد على صفة الأفاضل فقط أوما دلّ عليها عند صاحب القول وسيلة لإدراك الصّدق، وهو ما جعل "الأمير" يفصل بين "**صيغة الحقيقة**" و"**صفة قائل الحقيقة**"، فلا يقول "الصادق" الصّدق دائما ولا يقول"الكاذب" الكذب دائما، ومن هنا يزول **قانون الحتميّة** بين الصّفة والموصوف،"**اعلموا أنّه يلزم العاقلَ أن ينظر في القول ولا ينظر إلى قائله. فإن كان القول حقا قبله سواء كان قائله معروفا بالحق أو الباطل** "[1].

يبدو أنّ قضيّة النّظر إلى القول والتّثبت منه دون مراعاة صاحبه يشبه كثيرا قولهم"الحكمة تؤخذ من أفواه المجانين" لذلك تنتفي الحتميّة هنا وتلغى لزوم القضيّة بالقضيّة،وكأنّ قولنا:

عمر صادق،...1

قال عمر(قولا...).....2

الاستلزام = إنّ قول عمر صدق 3

هي نتائج غير صادقة لأن القياس فيها ملغى، لوجود الشّك الحاصل في مقدّمات هذا القياس. مع العلم أنّ هذه العمليّة هي أحد أبواب القياس التّي عوّل عليها المناطقة في تفسير قضاياهم، ولكنّها تصبح غير جديرة في الأخذ بنتائجها للوصول إلى الحقيقة، وعليه لا يكون الفاضل طريقا موثوقا للحقّ إن غاب الدليل، كما هو الشأن عند "ابن خلدون"، إذ يقترب قوله من هذا التّفسير ،حين يحثّ على إعادة النّظر فيما سجّل ونقل على اعتبار أنّه صحيح وحق: "**والنّاقل إنّما هو يُملي ويَنقُلُ، والبصيرة تنقُدُ الصّحيحَ**"[2].

فعلا، **إنّ الحتميّة** المتعلّقة بأنّ سمت الخيّر يعرف من خيره **تنتفي** إن لم يعلم لذلك دليل، وعليه قضيّة عدم الأخذ بسوء خلق القائل عند صدق قوله تصبح صحيحة لانتفاء الحتميّة فيها؛ والحال نفسها في فلا يقول الحق إلا صادق، لأنّه لا يستثنى دونه الباطل.

يحيلنا هذا التّصوّر إلى أنّ الشّيء لا يتأثّر بمصدره، وهو حال" **الأمير**" عندما يقول:"**العاقلُ يَعرفُ الرجالَ بالحقِّ ولا يَعرفُ الحقَّ بالرّجال**"[3]، بل إنّه يذهب إلى أنّ طلب الحقّ غاية، وهي ضالّة العاقل ولا اعتداد في ذلك بصاحبها ولا بمكانها، المهمّ في ذلك الحقّ في ذاته وتميّزه عن الباطل بصفاته، لأنّ"**الكلمة من الحكمة ضالة العاقل يأخذها من عند كل من وجدها عنده سواء كان حقيرا أو جليلا. وأقل درجات العالم أن يتميّز على العامّي بأمور.**

[1] : الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،ص5.

[2] :ابن خلدون :المقدّمة،ص11.

[3] : الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،ص5.

منها أنه لا يعاف العسل إذا وجده في محجمة الحجّام ويعرف أن الدّم قذر لا لكونه في المحجمة ولكنه قذر في ذاته"[1]

يبدو أن **إسقاط الحتميّة يتعلق بدلالة الموصوف على الصّفة** لعدم استقرارها، أمّا دلالة الشيء على ذاته فهي أصل فيه، كإشارته للعسل في غير موضعه،والترياق المستجلب من الحيّة وهكذا.....

ويمكن أن نفهم ذلك التّصور نفسه عند "**ابن خلدون**" حين يقول :"**ثمّ إنّ فكره ونظره يتوجّه إلى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد آخر**"[2]. وكأن "الأمير" ذهب مذهبه واتّبع خطاه، إلاّ أنّنا نرى أنّ حقيقة هذا الاشتراك الفكري إنّما يفرضه الاشتغال على المنطق وطرق الباب نفسه في معالجة العقل.

ولا مراء إن قلنا أنّ المفكّرين قد سلكا المذهب نفسه في تحقيق الصّدق وطلب الحقيقة بشكل ينفي إحدى القضيتين ويثبت أخرى(الباطل/الصدق) ، وهما يستدعيان في هذا التّصوّر منهج الشّك لتكون البيّنة على من ادّعى .

2- الدليل مقابل الاتّباع والاطّراد:

يمكن النّظر إلى العلاقة بين الدّليل المقابل للتّقليد بأنّها علاقة مطردة، والعالمان من خلال كتابيهما يذهبان إلى أنّ التّبعيّة أوالتّقليد لا تكتسب قيمة الصّدق إلاّ إذا أكّد ذلك التّصوّر المطروح حجّة أوبرهان يضبط حقيقته ويعقلنه، والعالمان لم يختلفا في ذلك عمّا عرفه الجمهور من ضرورات الاستدلال في مثل هذه القضايا، وما الدليل إلاّ طلب الاستدلال، كما هو في التعريفات" هو تقرير الدليل لإثبات المدلول، سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر أو العكس، أومن أحد الأثرين إلى الآخر." [3] .لذلك نبذ "الأمير عبد لقادر" و"ابن خلدون" التقليد ورأيا في شأنه أحكاما دقيقة تنزله منزلة البطلان وتجعل صاحبه بليدا يفتقر جادّة الصّواب.

2 -1 -التقليد:

أمّا في "**ذمّ التّقليد**" فهو الوجه المراهن عليه من خلال "**النّظر**"، فوجود القضيّة الأولى(النّظر) يعدم تحقّق القضيّة الثّانيّة(التّقليد)؛ فيكون ذم التّقليد دعوة إلى "التّثبت" ذلك الذّي صاحب حسن النّظر عند"ابن خلدون"

[1] : المصدر نفسه،الأمير عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،ص5.

[2] :ابن خلدون :المقدّمة،ص319.

[3] : الشريف الجرجاني : التعريفات، تح مجموعة علماء، ج1 ،ص 17

أيضا.والتّثبت يعني وجود ما ينفي القضيّة الثّانيّة(التقليد)،والنّفي يستدعي **دليل الإثبات** وعليه تدرك الحقيقة بنفي المطّرد لغياب دليله.

لقد أثبتت هذه العبارات الاتّصال الواقع في "مفهوم الإدراك" بين المفكّرين(ابن خلدون والأمير)؛ سواء أتعلّق الأمر باستعمال اللّفظ في حدّ ذاته أوفي دلالة المعنى عليه، إذ يؤكّد العالمان **أولويّة العقل** في عمليّة البحث عن الحقيقة، ومن جانب آخر، الإشارة إلى أنّ تحكيم النّظر بالعقل دليل القول الصائب، مهما كان القول متواترا أو لا، لذلك يعدّ "**ابن خلدون**" متميّزا في هذا الأمر حين يدعو إلى عدم اتّباع أخبار **فحول** المؤرّخين لأن أخبارهم قد دسّت بأباطيل المتطفّلين، وللأسف اقتفى آثارهم كثير من التّابعين نقلوها دون تحقيق وتنقيح اعتقادا منهم في فضل المؤرّخ وصدقه"**ولا رفضوا ترّهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتّحقيقُ قليلٌ، وطرف التّنقيح في الغالب كليلٌ، والغلط والوهم نسيب إلى الأخبار وخليلٌ، والتّقليد عَريقٌ في الآدميّين وسليلٌ**....."[1]

عندئذ تصبح صفة **التّقليد** صفة مذمومة عند "ابن خلدون" كما هي الحال عند "**الأمير**" في قوله:"**فإنّ العقل المتجرّد للفكر في حقيقة من الحقائق ربما لا تنكشف له لكونه محجوبا باعتقاد سبق إلى القلب عن طريق التّقليد والقبول بحسن الظنّ**"[2].وفي قوله إشارة إلى عجز العقل بسبب متراكمات تقليديّة نسبها إلى القلب، وبذلك يَضلُّ العقل إن لم يرفع مثل هذه المعتقدات التّي تداولها الخلق، وهو يؤكّد ما ذهب إليه"ابن خلدون" **والتّقليد عَريقٌ في الآدميّين وسليلٌ**.

إذًا، فمذهب التّبعيّة الخالي من التّحري غير محمود، وإن كان ذلك طبع في الإنسانيّة جبلت عليه،ف"**ابن خلدون**" ينبّه إلى التزام الباحث أو الطّالب بالذكاء الذّي يصونه من الوقوع في الخطأ،فيعيد خطأ السّابقين ويسهم في نشره مرة أخرى، ومن ثمّ لا بدّ لطالب الحقّ ألاّ يعتمد مجرّد النّقل اعتقادا بصدق المؤرخين الأوائل" **ولأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجردّ النّقل ولم تُحكَّمْ أصُولُ العادة وقواعد السّياسة ... فربّما لم يُؤمَن فيها من العُثُور ومزلّة القدم والحَيدِ عن جادّة الصّدق**"[3]. أو بحسن الظّن فيهم وفي أرائهم كما ذكر "الأمير" **باعتقاد سبق إلى القلب عن طريق التّقليد والقبول بحسن الظنّ"**

---

[1] :ابن خلدون :المقدّمة،ص11.

[2] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،ص9.

[3]: ابن خلدون: المقدّمة،ص15

إنّ ترك التّقليد والدعوة إلى التّحري في الموضوع الذّي تناوله "الأمير عبد القادر" لا يختلف أبدا عمّا قصده"ابن خلدون" في مقدّمته، وهذا ما يجعلنا نتساءل مرّة أخرى، هل "الأمير عبد القادر" متأثّر أيّما تأثّر بالفكر الخلدوني ؟.أم إنّ الحقيقة تفرضها طريقة معالجتهما للفكر، كيف لا وهو يدعو إلى عدم الاتّباع .

2 -.2-الدليل:

إقامة الدّليل في الأمر هو إثبات وجه اليقين، وطرح التّوهم أو الوهم في الحقيقة، فيكون تحقيق الدّليل بمثابة إيجاد الحلّ المناسب لمنع " التّقليد"السلبي ،وكشف مصداقيّته من زيفه، والمفكّران قد دعوا إلى "ترك التّقليد" البليد"كما يقول "ابن خلدون":"**ثمّ لم يأت من بعد هؤلاء إلاّ مقلّدٌ، وبليد الطّبع والعقل أو مُتَبَلِّدٌ ينسِجُ على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال، ويذهل عمّا أحالته الأيّامُ من الأحوالِ**.."[1] ، وأمّا التّخلي عنه فلا يكون إلاّ بسلطة الدّليل، لا بسلطة الهوى فيستجدي اليقين عن طريق الدّليل الذي يبين العلاقة السّببيّة؛"والعلاقة الحجاجيّة السببيّة ليست أبدا شكليّة خالصة فهي في الواقع ترتبط بالمضمون الدلالي للأقوال-وبالتالي بعلاقات المعنى التي تقوم بين تلك الأقوال، ومن جهة أخرى بنماذج الروابط أو الشروط المنطقيّة التي تميّز العلاقة أ 1 و أ 2"[2]،ولهذا سيكون الدّليل أحد وسائل منع وقوع الخطأ الناتج عن التّقليد، فإمّا يثبت صحّة ما عرضه أو ينفيه عن طريق "التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بواسطة حكم تصديقي معلوم ، بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقيّة المعلومة "[3] .

في الواقع، هذا التّصوّر بين التّقليد والنّظر، أولنقل بين النّقل والعقل خاصّة فيما يتعلّق بأفضليّة أحدهما عن الآخر أو فيم يكمن وجه الحقيقة، هو باب من الأبواب التّي عالجها كلّ من "الأمير عبد القادر" و"ابن خلدون"، وهي حقيقة لم تغب عن أذهان السّابقين، على نحو ممّا أشار إليه "أبو حامد الغزالي"450 /505 هـ-1058 /1111م) في كتابه"قانون التّاويل"، إذ ميّز بين أساليب العلماء في التّأويل وفاضل بينها، حيث يقول"بين المعقول والمنقول تصادم في أول النظر وظاهر الفكر، والخائضون فيه يحزبوا إلى مفرط بتجريد النّظر إلى المنقول، وإلى مفرط بتجريد النّظر إلى المعقول، وإلى متوسط طمع في الجمع والتلفيق ،والمتوسطون انقسموا إلى من جعل المعقول أصلا، والمنقول تابعا،فلم

[1] : المصدر السابق،ابن خلدون: المقدّمة،ص12.

[2] : باتريك شارودو:الحجاج بين النظرية والأسلوب،عن كتاب نحو المعنى والمبنى ، ص27 .

[3] : أسعد عبد الغني السيد الكفراوي: دارالسلام للطباعة والنشر والترجمة القاهرة ،ط1 ، 1423 هـ/2002 م ، ص22 .

تشتد عنايتهم بالبحث عنه: وإلى من جعل المنقول أصلا ، والمعقول تابعا،فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه، وإلى كل من جعل كل واحد أصلا ويسعى في التّأليف والتوفيق بينهما،فهم إذن خمسة فرق ،" [1]

يؤكّد"الأمير" هذا المبدأ في البحث عن الحقيقة وتقصيّها، حين يشدّد على ضرورة وجود الدّليل والبرهان في تقييم القضيّة المطروحة، ويتجلّى دوره،فعليا، من خلال تقسيمه العلماء بقدر اعتمادهم على الدليل،"**والمتبوعون من النّاس على قسمين .قسم عالمٌ مسعدٌ لنفسه ومسعد لغيره وهو الذي عرف الحق بالدليل لا بالتقليد ودعا الناس إلى معرفة الحق بالدليل لا بأن يقلّدوه، وقسم مهلك لنفسه ومهلك لغيره وهو الذّي قلّد آباءه وأجداده فيما يعتقدون ويستحسنون وترك النّظر بعقله ودعا النّاس لتقليده**"[2] .

إن الاعتقاد في الحقيقة والإيمان بها بوجه اليقين والتّدليل عليها، هي درجة العقل المطلوبة عند "**الأمير**"، فهي عنده صورة العالم المؤهّل لقيادة النّاس، فهو القادر على معرفة الحق لأنّ وسيلته في ذلك إدراك دليل الحقّ ودعوة النّاس بهذا الدّليل،لأنّه "سبيل عقلي إقناعي استرضائي " [3]،فيدرأ عن نفسه الفساد وعن غيره ،ويأمن التّابعون شرّ اتّباع الفاسدين ،لما كان من صور غموض المتشابهات المنتشرة واختلاف الأراء والأحكام ؛"**وأنّ أقوال العلماء والمتدينين متضادة متخالفة في الأكثر،واختيار واحد منها واتّباعه بلا دليل باطل لأنّه ترجيح بلا مرجِّح فيكون معارَضا بمثله**"[4].

الاتّباع بلا دليل ظاهرة منبوذة، والأمير ينهى من خلالها عن التّقليد الذّي لم يثبته دليل قائم ؛وبالتّالي الابتعاد عن تصديق كلّ ما هو متعارف دون دليل "فبطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول".

3. العلم و التعلم

لقد كانت الدّعوة إلى التّحري وطلب اليقين عن طريق الدّليل مستوى مهمّا من مستويات الإدراك، فالعقل وحدة للفكر والبحث عن الحقيقة يتطلّب عمليّات الإدراك المختلفة، حيث يكون **الفكر** وسيلة قيادة الإنسان لغيره،فلا وجود لمعيار واحد للحقيقة ليكون نموذجا ثابتا، ،بل إن المعرفة العلمية أصبحت رهينة التفاعل القائم بين الجماعة العلمية

---

[1] :أبو حامد الغزالي(محمد بن محمد الغزالي الطوسي)(450 /505 هـ-1058 /1111م):قانون التّأويل،تح محمد زاهد بن الحسن الكوثري،مطبعة الأنوار،ط1 ، 1359 هـ-1940 م،ص 6.

[2] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،ص ص 6 ،7.

[3] : طه عبد الرحمن: اللسان والميزان،أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،بيروت،ط1 ،1998 ،ص132.

[4] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،ص 7.

ومحيطها المادي والمعرفي، "لأن منطق التبادل والتفاعل الحجاجي يؤثر على مصير البحث العلمي.وهو ما جعلنامقتنعين بصعوبة عزل التفكير العلمي عن العمليّة الحجاجيّة التّي تدور بين أطراف تتنازع وضعا معيّنا"[1]

، وهو موضوع تطرّق إليه كلّ من"ابن خلدون "والأمير عبد القادر" وذلك بالنّظر إلى وجود مرتبة جديدة للإدراك، وهي العلم وما رافقها من علوم وعلماء وتعليم، حيث يصبح العلم ومصاحباته من عمليّات الإدراك التّي تحقّق مستوى دقيقا لتباين المخلوقات، والإنسان لا يسمو عنها(الحيوان،النبات،الجماد) إلاّ بهذه الميزة العقليّة، حين جعلا العلم والعلماء أو التّعليم من أسباب العقل وأنّ حاجة الإنسان إلى ذلك ضروريّة، بل إنّها أمور طبيعيّة في الحياة البشريّة _كما هو الحال عند "ابن خلدون"– في ذكره لفصل "أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري"،في قوله:**وذلك أنّ الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيّته من الحس والحركة والغذاء والكنّ وغير ذلك.وإنما تميّز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المهيء لذلك التعاون .وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى والعمل به، واتّباع صلاح أُخْرَاهُ، فهو مفكّرٌ في ذلك كلّه دائما لا يفتُرُ عن الفكر فيه.."**[2].

لقد رأى الأمير ،أيضا،في باب"فضل العلم والعلماء"، أن من مراتب الفكر والإدراك الإقبال على العلم والعلماء، وهي صفة يعلو بواسطتها البشر عن غيرهم من المخلوقات التّي تشارك الإنسان في صفات كثيرة(الحيوان والنبات والجماد)، وعليه يكون التّوجه إلى طلب العلم تصّورا عقليّا ينفرد به كلّ متدبّر واع بفكره يخالف بواسطته طبائع الموجودات،"**اعلموا أنّ الإنسان من حيث حصوله في الحيّز والمكان فجسم كسائر الأجسام. ومن حيث يتغذى وينسل فنبات .ومن حيث يحسّ ويتحرّك بالاختيار فحيوان،ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط...فكذلك الإنسان يشارك الجمادات والحيوانات في أمور ويفارقها في أمور هي خاصيته وبها شرفه.."**[3]

لا يهتدي الإنسان إلى الحقيقة إلاّ بإعمال الفكر، فهو وسيلة التّدبّر في الشّؤون، بل إنّه منوط بالصّلاح، فسلامة الإنسان بسلامة تفكيره وحسن النّظر في الأمور ، وعليه يقود الفكر صاحبه ويهيئ له حياته في الدّنيا والآخرة، ومن تلك الأمور التّي يحصّلها الإدراك عند المفكّر هي مرتبة العلم.

3 –1 . العلم و العقل:

1 : حسان الباهي: العلم والبناء الحجاجي، إعداد حافظ إسماعيل علوي" الحجاج ،مفهومه ومجالاته"،ج1 (حدود وتعريفات)، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1 ،1431 هـ،2010 م ،ص201.

2 : ابن خلدون: المقدّمة،ص319..

3 : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص 12 .

يقدّم "الأمير" مفهوما دقيقا للعقل يشرح من خلاله مراتب الإدراك، وكلّها تتعلّق بالعقل وتدلّ عليه،إذ يقول:" **واسم العقل يطلق على أربع معان بالاشتراك، الأول الوصف الذّي يفارق به الإنسان جميع البهائم وهو الذي استعدّ به الإنسان لقبول العلوم النّظريّة،الثّاني هي العلوم التّي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكبر من الواحد...وتسمية هذه العلوم عقلا ظاهر فلا تنكر.الثّالث علوم تستفاد من التّجارب بمجاري الأحوال فإن من جرّبَ الأمور وهذّبهُ تخالُفُ الأحوال يقال إنه عاقل في العادة،ومن لا يتصف به يقال إنه غبيٌ جاهلٌ.وهذا نوع آخر من العلم يسمى عقلا، الرابع أن تنتهي قوّة تلك الغريزة إلى أن يعرف الإنسان عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى تناول اللذة المضرة ويقهرها .فإذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وتأخره بحسب ما يقتضيه النّظر في العواقب.وهذه المعاني الأربعة كلها من خواص الإنسان**"[1].

إنّ ظاهرة العقل عند "الأمير" مرتبطة بخواص معيّنة تميّز بها الإنسان عن سائر الموجودات، **وأوّلها تشريف الإنسان بجهاز العقل** في حد ذاته، ثم **ثانيها قدرة الإنسان على التمييز** ، **وثالثها التّعلم والعلم المكتسب** وهو علم يسمح بنعته بالعاقل **ورابعها** القدرة على **تقدير الأمور والنّظر** فيها.

وكلّ هذه المميّزات استخرجها الأمير من خلال تعامله مع الواقع، وكذا في طريقة طرحه لعمليّات بناء الحجّة التّي تنسجم مع طابع التّفكير عند المخاطَب،وكأنّ"الأمير" يوجّه الفرد إلى الانطلاق من واقعه، وأوّل هذا الواقع **العلم** ولكنّه اتّخذ أسلوب" الأنساق المنطقيّة غير الصّورية أو الطبيعية" مخالفا الأساليب الصوريّة الدقيقة المضبوطة، وهي تسهل التّعامل مع الأحداث اليوميّة غامضة كانت أو غير مكتملة، لأن هذه الأنساق غير الرتيبة تسمح بالتّفاعل بين المتشاركين وتقديم حجج اعتمادا على المناقشة والأسئلة، فنتمكن من الانتقال من صورنة ماهو مجرد وصوري إلى ماهو واقعي وطبيعي يجمع بين الذاتية والاجتماعية [2] .

لقد انماز الإنسان بالفكر عن غيره من المخلوقات،لكنّ هذا الفكر يصبح وسيلة لتأدية أدوار أخرى، كالمعايش وتلقي الرّسالة عن الأنبياء والتّفاعل معها وكلّ ذلك طريقه العلم،فلولا هذا العلم لكانت طرق التّعامل عنده متساويّة لافتقارها ذلك التّدبر العقليّ، فالإدراك لا يتحقق إلاّ بوجود مفكّر يعلم ويتعلّم. والعلم مرتبة فكريّة قادرة على الوصول إلى الحقائق وإدراك ما لا يدركه غيره" **وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدّمناه من الصّنائع ، ثمّ لأجل هذا الفكر، وما جبل عليه**

[1] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص ص 23 ،24.

[2]: حسان الباهي: العلم والبناء الحجاجي ،ص ص 196 ،197.

الإنسان، بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه الطبائع، فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، ."[1]

ذلك هو الدّور نفسه الذّي يؤدّيه العلم عند"**الأمير**"،حين يبيّن أنّ العلم يدل على العقل ،إذ يقترن به ويختص بصفاته،وهو مفهوم أحال إليه عندما رأى أنّ العلم لا يكون دون عقل"**اعلموا أن العقل منبع العلم وأساسه ومطلعه،والعلم يجري من العقل مجرى الثمر من الشّجر والنور من الشمس..**"[2]. بل إنّ ذلك كلّه يفسّر دور العلم من العقل،فهو شرف الإنسان، وهو مظهر عقليّ لعمليّة الإدراك لا تستقيم لغيره من الجماد والحيوان والنبات."**وإنّما شرف الإنسان وخاصيّته التّي يتميّز بها عن جميع الموجودات هي العلم وبها كماله،إذ كمال كل شيء إنما يكون بظهور خاصيته التي امتاز بها عن غيره**"[3].

لقد ذكر "الأمير "للعلم لذة لا تضاهيها لذّة، وأنّ أفضل العلم ما يطلب لذاته،وبالعلم بفاضل بعضهم بعضا، وأن أقبح إنسان هو من عرّى نفسه من فضيلة العلم، ولأجل هذه الفضيلة صار للإنسان ميل طبيعي للعلم إذا لم نفسد طبعه،"**ويلتذ الإنسان بالعلم لذاته وكماله لا لمعنى آخر وراء الكمال.ولا يخفى على أهل العلم أنه لا لذة فوق لذته....وهذه اللذة أقل اللذات وجودا وهي أشرف اللذات.أما قلتها فلأن العلم لا يستلذ به إلا عالم.وما أقل أهل العلم والحكمة... وأما شرفها فلأنها لازمة لا تزول أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا تمل**"[4].

وأهل العلم مختلفون ومتفاوتون، وقد أفاض "الأمير" في ذكر العلم وصفات العالم وأنواع العلوم والعلوم العقلية والشرعية والمكتسبة والعلاقة بينها"**فالعلوم التي تحل في العقل تنقسم إلى عقلية وشرعية، أما العقلية فنعني بها ماتحكم به غريزة العقل من غير تقليد ولا سماع..** "[5].

كما رتّب العلوم وفق شرفها وفضلها، وعنده تعلو العلوم العقليّة"**كفضل العلوم العقلية على علوم اللغوية ،إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع،والعقل أشرف من السمع**"[6]

---

[1] : ابن خلدون: المقدّمة،ص319.

[2] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص ص 22 ،23.

[3] : المصدر السابق، الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ،ص13.

[4] : ينظر،المصدر نفسه، ص ص 14 ،15.

[5] : االمصدر نفسه، ص52.

[6] : المصدر نفسه، ص21.

3 –2 .التّعليم:

إذا كان العقل هو المظهر الأوّل لعمليّة الإدراك ،فإنّ التّعلم مظهره الثاّني الذّي لا يكتمل الإدراك إلاّ به لقصور العقل عن التّحصيل في بعض العمليّات الفكريّة، ومن ثمّ يحتاج الإنسان إلى طرق مختلفة في التّعلم تسمح للإنسان بالإدراك حتّى يتحقّق اليقين بالحقيقة، وقد اشترك "الأمير و"ابن خلدون" في دعوتهما هذه ،يقول "الأمير": "**ثم إنّ هذه العلوم لا يمكن مباشرتها إلاّ بالتّعلم والتّعب في الابتداء**"[1].

وقد دعا "ابن خلدون" إلى العودة إلى أهل العلم السّابقين أو إلى من عرف بعلمه الواسع، فهؤلاء ممّن يحقّ للمتعلّم أن يأخذ عنهم لإدراك ما لم يدرك:"**فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زَادَ عليه بمعرفة أو إدراك أو أخذه ممّن تقدّمه من الأنبياء الذين يبلّغونه لمن تلقّاهُ**"[2]، وفي هذا الرأي دعوة إلى التّعلم وممارسة التّعليم، وطلبه من مصدره الموثوق؛ الأنبياء ،وعالمٍ معروف سبق بعلمه عصره، أو من عند عالم غزير العلم وإن كان معاصرا له.

يبدو أنّ طلب الاستفادة من أهل العلم وتلقينه عن طريق التّعلم هو مستوى آخر من مستويات إدراك الحقيقة عندما يعجز العقل عن الوصول إلى أمور معيّنة لقصوره وحاجته إلى وسائل أخرى، ولذلك نجد "الأمير" ينبّه إلى أنّ العقل غير كاف في بعض الحالات في عمليّة الإدراك ولابدّ له من إضاءات شرعيّة يأخذ بها ويصدقها العقل،"**فالعلوم العقلية غير كافية في السلامة وإن كانت محتاجا إليها.كما أن العقل غير كاف في استدامة صحة البدن بل يحتاج الإنسان إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التّعلّم من الأطبّاء،إذ مجرد العقل لا يصل إليه،ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلاّ بالعقل فلا غنى بالعقل عن العلوم الشرعية،ولا غنى بها عن العقل**"[3].

يتدخّل التّعليم في عمليّة الإدراك ليجعل تحصيل العلم ممكنا ، فيُكتسب وينقل، ولهذا يؤكّد"ابن خلدون" أنّ عمليّة تلقين العلوم تكون على يد مشاهير العلماء"**ولهذا كان السّند في التّعليم في كلّ علم أو صناعة إلى مشاهير المعلّمين فيها معتبرا عند كلّ أهل أفْق** وجيل"[4].

إنّ التّعلم رتبة عقليّة يستجديها العقل، والعقل بدوره يقوم بتفسير الخواص والبت في الحقيقة، وهي عمليّة تحدث عند "ابن خلدون" عن طريق "الملكة" التّي يحصّلها بالحذق والمران وهي لا تتعلق بالفهم وإنما تكتسب عن طريق

---

[1] : المصدر نفسه، ص46.

[2] : ابن خلدون: المقدّمة،ص319.

[3] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص ص 52 ، 53.

[4] : ابن خلدون: المقدّمة،ص319.

الممارسة للصنائع والتعليم وغيره،" **وذلك أنّ الحِذْقَ في العلم والتّفنّن فيه والاستيلاء عليه إنّما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده....وهذه الملكة في غير الفهم والوعي...والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أوفي الدّماغ من الفكر وغيره كالحساب، والجسمانيات كلها محسوسة تفتقر إلى التّعليم...**" [1]

وفي التّعليم لايتساوى المتعلمون في إدراكهم، بل إنهم متفاوتون في التّحصيل؛ فمنهم من فهمه للأشياء سريع،وآخر بليد،ومنهم من يحتاج إلى طول تعلّم ودربة، وهذا دليل تفاوت الإدراك واختلاف العلماء"**وكيف ينكر تفاوت الناس في الغريزة. ولولا تفاوتها لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم.وإلى ذكي يفهم بأقل إشارة .وإلى كامل يدرك حقائق الأشياء دون تعليم..**"[2]

لهذا تختلف طرق التّعليم لتفاوت قدراتهم، وهو ما ذهب إليه"ابن خلدون" مبيّنا أنّ الحقيقة التّي أيقنها العقل وأثبتها يمكن أن تكون نموذجا تلحق بها العوارض:"**ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقبة علما مخصوصا،وتتشوّف نفوس أهل الجيل الناشئ إلى تحصيل ذلك فيفزعون إلى أهل معرفته ويجيء التعليم من هذا، فقد تبيّن بذلك أن العلم والتّعليم طبيعي في البشر**"[3].

استطاع "الأمير" و"ابن خلدون" أن يشرحا عدم كفاية "العقل" في استيعاب الموجودات، وهو في هذه الحال يستعين بمراتب الإدراك المختلفة،ثمّ إنّ من النّبوّة ما لا يدركه العقل، وهو ما ذكره "الأمير" في فصل"إثبات النبوّة واحتياج كافة العقلاء إلى الأنبياء"**اعلموا وفقكم الله أنّ النّبوّة هي عبارة عن طور تنفتح فيه عين أخرى زائدة على طور العقل ونظره،ينظر بها النّبي ما يكون في المستقبل من أمور العقل معزول عن إدراكها كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات وكعزل الحواس عن مدركات التمييز**"[4].

يعدّ "**التّواتر**" باب آخر للتّعلم وقد ساقه"الأمير" سبيلا من سبل أخذ الحقيقة وإدراك الصّدق،"**فلا يحصل لكم اليقين إلا بمعرفة أحواله إما بالمشاهدة وإما بالتسامع و التواتر**"[5]، وقد ربط ذلك بالأنبياء بشكل خاص، وهو يرى أن التّواتر من أسباب العلم "**وأكثر الأمور التي نقلت على الأنبياء ممّا يدلّ على صدقهم متواترة يجزم العقل بأنها**

[1] : المصدر نفسه،ابن خلدون: المقدّمة،ص319.

[2] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص ص 27 ، 28.

[3] : ابن خلدون: المقدّمة،ص319.

[4] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص 62.

[5] : المصدر نفسه،الأمير عبد القادر الجزائري ، ص 68.

موجودة.والتّواتر مفيد للعلم، وحقيقة التّواتر هو أن يخبر جماعة يبعُد تواطؤهم على الكذب عادة عن أمر محسوس.فيحكم العقل به بمجرد خبرهم فيحصل العلم الضروري"[1]،ذلك أنّ الأنبياء تعذرت مشاهدتهم من طرف اللاّحقين ولا سبيل لنقل أخبارهم إلا هذا التّواتر ،وهو أمر اعتدّ به"ابن خلدون" كذلك وقد أشار إلى السّند وضرورته في العلم والتّعليم"**وأمّا أهل الأندلس فذهب رسم التّعليم من بينهم...ولم يبق من رسم العلم فيهم إلاّ فنّ العربيّة والأدب...وانحفظ سند تعليمه بينهم فانحفظ بحفظه....وماذاك إلاّ لانقطاع سندِ التّعليم فيها**"[2].

الإدراك بالحواس :وهو من المراتب التي يمكن الإشارة إليها، فهي من الطرق المهمّة التّي لم يغفلها الأمير" ولا"ابن خلدون" وسيلة من وسائل التّفكر وإقامة الحجّة. وفيه يتحقّق الإدراك عن الحواس المعروفة، ومن ذلك ما يسميه "**ذوق الشعر**" وكيف استطاع بعضهم أن يدرك الشعر وموسيقاه وأوزانه وتعذر غيره عن ذلك، لافتقارهم لهذا الذّوق والحس"**وانظروا إلى ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع إحساس وإدراك ويحرم منه بعضهم**"[3].

في الواقع،تتقاطع هذه المراتب بشكل قويّ عند كلّ من المفكّرين، وإن اختلفت طريقة معالجة كلّ منهما،والملفت للانتباه أنّهما اتّفقا في عديد الموضوعات التّي تناولها كل كتاب ؛في أمور العلوم المقترحة والصنائع و الكتابة ...

2. آليات الإدراك وضوابطه في المنجزين:

تجلّت عمليّة الإدراك في مجموعة من المراتب التّي اتّصل بعضها ببعض، فكان أوّلها إدراك العقل ثمّ تلته مستويات أخرى تقوم على العقل وتشتغل وفقه، ولهذا تستحضر هذه المراتب العقليّة طرقا وآليات تستعين بها في عمليّة الإدراك ليكون الإقناع والتّأثير، فيخضع المتلقي ويذعن للبراهين ،وكلّما قويت الحجّة كلّما زاد تسليمه، وقد عرف هذا النّوع من الخطابات عديد الحجج، أشار إليها بعض الدّارسين؛ نحو حجّة التبرير "بما أنّ" وحجّة الاتّجاه "للتّحذير" ،والتواجديّة" علاقة الشخص وعمله" والرّمزية "بدلالته على المرموز له"والمثل "للتأسيس عليه"والاستشهاد"للتوضيح"[4] ولهذين الأخيرين دور كبير في نصي المفكّرين "ابن خلدون" و"الأمير" .

[1] : االمصدر نفسه،لأمير عبد القادر الجزائري ، ص 69.

[2] : ابن خلدون: المقدّمة،ص321.

[3] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص 61.

[4] : صابر الحباشة: التداولية والحجاج،مداخل ونصوص،صفحات للدراسات والنشر، دمشق،ط1 ،2008 ، ص ص 48 ،49.

2 – 1 – صور القياس:

القياس من أهم الأدوات التّي يلجأ إليها أصحاب الحجاج لإقامة حجّة ما أوالبرهنة على قضيّة معيّنة،ويذهب بعضهم إلى أنّ عناصر الاستدلال تقتضي عدم التّعدّد والاشتراك، وأنّ مجاله المنطق، وأن تستنبط من المقدّمات نتائج تفضي إليها بالضرورة[1]،وقد راعى كتاب"الأمير" هذه الوسيلة في تجلّية الحقائق، كما أجاد استعمالها بمقابل ما نجده عند"ابن خلدون" ،حيث تغلب حدّة المنطقيّة عند"الأمير" في هذا التّصوّر ،كقوله مثلا:"–**الأعمى لا يصلح أن يقود العميان،– وإذا كان تقليد الرجال مذموما غيرَ مرضي في الاعتقادات فتقليد الكتب أولى وأحرى بالذّم .وإنّ بهيمة تقاد أفضل من مقلّد ينقاد**"[2].

أحيانا يستعمل "الأمير" القياس عن طريق موازنة فرع بأصل، ليكون بعدها الحكم، وغالبا ما يسمى بالقياس الشرعي " وقد تحدث عن التعامل بالذهب والفضة وحكمها ومقصدهما وبينّ كيف أن العقل لا يخالف الشرائع وأثبت ذلك بالقياس والتّمثيل والاستشهاد " ،وغالبا ما تحتاج هذه الأدوات بعضها البعض ،كما يستعمل قياس المنطقي بالانطلاق من مقدمات إلى نتيجة،نحو قوله:[3]

- –ولاشيء أقبح من الإنسان مع ما **فضله الله به من القدرة على تحصيل الكمال بالعلم** أن يهمل نفسه
- ويعريها من هذه الفضيلة..1
- **–ولما كان العلم هو كمال الإنسان**....2
- **–كان كل إنسان محب للعلم بالطبع ويشتهيه**....3

لقد استعمل "**الأمير**" مجموعة من المقدمات متمثّلة في قضية أن الإنسان فضله الله بالكمال، والكمال يتحقق بالعلم . **النتيجة**=== كل إنسان محب للعلم،وهو في ذلك لم يخالف جمهور المناطقة في قياسهم الذّي يعتمد "على شكل من التسلسل ممثلا في نتيجة استلزامية(إنّ....فإذن) مع أقوال تجمعها علاقة معنى ذات تناظر(اشتمال أحادي الجانب أوثنائيّه) من خلال رابط الواجب فيتوفّر على مغزى من التعميم "[4] .

---

[1] :عبد الله صولة:في نظرية الحجاج،دراسات وتطبيقات،مسكيلياني للنشروالتوزيع،تونس،ط1 ، 2011 ، ص14.

[2] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص 6.

[3] :المصدر نفسه ، الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص 14.

[4] :باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب،تر أحمد الودرني، ص ص 36 ،37 .

لاحظ قوله في شكل آخر للقياس: **الكتابة وأن عظمت ...مفرعة عن النطق – فيكون في الفرع ما في الأصل وزيادة..– بيانه أن بدن الإنسان لا يتم إلا بالقلب الذي هو معدن الحرارة الطبيعية– ولا بد من وصول النسيم البارد إليه ساعة بعد ساعة حتى يبقى على اعتداله ولا يحترق.....–فإذا مكث ذلك النسيم لحظة تسخَّن وفسد فلزم إخراجه**[1] ..–

يزاوج "الأمير" أثناء عمليّة القياس بين التمثيل وما شابهه ليقنع ويؤثّر،وهو بذلك يذهب يذهب"ابن وهب" إلى أن "القياس في اللغة التمثيل والتشبيه، وهما يقعان بين الأشياء في بعض معانيها لا في سائرها، لأنه ليس يجوز أن يشبه شيء شيئا في جميع صفاته فيكون غيره، والتشبيه في الأشياء لا يحلو أن يكون في حد أووصف، أو اسم،فالشبه في الحد هو الذي يحكم لشبهه بمثل حكمه إذا وجد فيه فيكون ذلك قياسا صادقا وبرهانا واضحا"[2].

من المهمّ الإشارة إلى أنّ"الأمير" تحدّث عن صورة أخرى للإدراك تتمثّل في القلب،"**فكل قلب هو بالفطرة الإلهية صالح لإدراك الحقائق**"[3] مشيرا إلى أنه موطن العلم، ثمّ يوضّح علل عدم سلامة الإدراك بواسطته، معدّدا مجموعة من الشروط، وأنّ الفرد إن استطاع التّحكّم فيها كان "قلبه" أقدر على الإدراك

يتّخذ القياس عند"**ابن خلدون**" دلالة مختلفة عمّا هو عند"الأمير"، حيث تتدخّل التّراكيب اللّغويّة في بناء الحجاج مع إحاطة قويّة بكلّ الجوانب، فمثلا في قوله:" **في أنّ الشّدة على المتعلّمين مضرّة**"[4] فهو نتيجة استدلاليّة وحكم تفسّره مقدّما متأخرة الذّكر، نحو:

–إرهاف الحدّ بالتّعليم مضرّ بالمتعلّم (سيّما في أصاغر الولد..– ومن كان مرَبَّاهُ بالعَسْف والقهر من المتعلّمين ...سطا به القهرُ وضيَّقَ على النّفس في انبساطها –وذهب نشاطها ودعاه إلى الكسل وحَمَلَ على الكذب والخبث والتّظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه..– علّمه المكر والخديعة لذلك وصارت له عادة...– فسدت معاني الإنسانيّة(من حيث الحمية ،الاجتماع، التمرن،المدافعة عن نفسه). – صار عيالا على غيره – كَسِلَتِ النفس عن اكتساب الفضائل الخلق الجميل..– انقبضت عن غايتها الإنسانيّة..– ارتكس وعاد إلى أسفل السافلين–

[1]: الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص 88.

[2] :بن وهب الكاتب(أبو الحسن اسحاق ابن ابراهيم ابن سليمان : البرهان في وجوه البيان، تح حفني محمد شرف،مطبعة الرسالة،القاهرة 1969 ،ص 67.

[3]: الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص 11.

[4] : ابن خلدون: المقدّمة،ص436.

== هكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر.. وفي النهاية يستشهد باليهود ووقوعهم في تلك المساوئ

ولعلّ ما ذهب إليه "طه عبد الرحمن" يوضّح هذا التّصور في عمليّة القياس عند"ابن خلدون"حين يشير إلى أنّ الاستدلال عند"ابن خلدون" ينطلق من الجملة الشرطيّة، ويشكّل المقدَّم من هذه الشّرطيّة العلّة والتّالي المعلول؛ ثمّ تتوالى فيه الجمل الشرطية، بحيث يصبح التّالي في الجملة السابقة مقدَّما في اللاّحقة إلى أن ينتهي إلى النتيجة[1].

2 – 2 .المثال/ التّمثيل:

وهو محاولة الكاتب تقريب المفهوم عن طريق إعطاء مثال أو تمثيله في صورة معيّنة حسيّة أو مجرّدة تمكّن المتلقي من الفهم وهي من مجمل ما استعان به "الأمير" لتأكيد فكرة والدّعوة للأخذ بها،لأنّ " التّمثيل يعمل على إسناد بنية ذهنية لدى المتلقي تتعلق بالتّأثير الصّوري عن طريق الملفوظ،وإنّ هذا الملفوظ يحثّ على الاعتقاد بالفكرة المطروحة في سياق التّمثيل"[2]،يهدف التمثيل إلى البرهنة عن طريق المشابهة والتّقريب بين أمرين أوأكثر،وقد استعمله "الأمير"ليوضح قضاياه في هذا النّص،وقلّما خلت قضيّة من قضاياه من الحجاج بواسطة المثال،على نحو قوله: "**فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها صور المعلومات كلّها**،"[3]، فقد مثّل بالقلب لتصوير عمليّة الإدراك الممكنة عن طريقه، ولكنّ ذلك لا يقع إلا بشروط معيّنة يقتضيها القلب عندما يشبه المرآة في الأداء، طلبا لتأسيس قاعدة ما، كما بيّن ذلك بعضهم فيما ذهبوا إليه؛ أنّ المثل يؤتى به في الحلات التي لا توجد فيها مقدمات، والمحاججة به تقتضي وجود خلافات في شأن القاعدة الخاصة التّي جيء بالمثل لدعمها، وهو وضع القلب المقابل للعقل، فقد نصت القاعدة عند "الأمير" "**فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة الحقائق.وغلاّ فكل قلب فهو بالفطرة الإلهية صالح لإدراك الحقائق**"[4] أو في قوله "**تدرك الحكمة بالعقل**"[5] .

كذلك استعمل "**ابن خلدون**" **المثال** للدلالة على فكرة يريد إثباتها،وذلك كثير في قوله،إذ اعتمده في فصوله جميعا، حيث يلجأ إلي المثال لترسيخ الفكرة والتّأكيد على وجودها والبرهنة على صحته،فهو عند حديثه عن دور أصحاب النّظر والفكر في السياسة وعدم تمكنهم فيها"**فيقعون في الغلط لقصور فكره عن ذلك...ولا يعدّي الحكم**

---

[1] : ينظر، طه عبد الرحمن: الميزان واللسان،ص ص 393 ،394.

[2] :مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي،تنظير وتطبيق عل السورالمكيّة،منشورات ضفاف،لبنان، منشورات الاختلاف،الجزائر،داركلمة،تونس، دار عدنان،بغداد ،ط1 ،1436 هـ،2015 ، ص165.

[3]: الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص8.

[4] : المصدر نفسه، الأمير عبد القادر الجزائري ، ص11.

[5] : المصدر نفسه، الأمير عبد القادر الجزائري ، ص21.

بقياس ولا تعميم، ولا يفارق في أكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالسابح لا يفارق البرّ عند الموج" [1]

2 – 3 . الشاهد:

كثيرا ما تشترك دلالة **الشاهد** مع غيرها من المثال، لأنّ الشّاهد يعتدّ بالمثال للبرهنة ورد الخصوم، ولهذا يذهب"طه عبد الرحمن" إلى أنّ الشّاهد دليل يختص بالوصفين المثال والمثول، حيث يذكر الشاهد لبيان فساد دليل الخصم، كما يتميّز الشّاهد بدلالته على أمر حاضر أو ماثل يُتوسل به إلى غيره، ويظهر ما كان خفيا منه[2].

استعمال الشّاهد من أدوات الحجاج المتعارف عليها ، وقد اعتمدها النّصان للتّأكيد على قضيّة معيّنة من تلك الموضوعات السّابقة الذّكر، وهي كثيرة ،إذ يستعين بها"الأمير" في معظم مقولاته، لأنّ للاستشهاد دورا مهمّا في"تقويّة درجة التّصديق بقاعدة ما، ويؤتى به للتّوضيح ، ويكون لاحقا للقاعدة قصد جعل القاعدة المجردة حسية وملموسة"[3] .

كثرا ما يمزج **"الأمير"** بين الاستشهاد والقياس أوالتّمثيل، ومما استشهد به قوله عن: **يحكى أن الرازي قال يوما للآمدي لمَ حسن إهلاك الحيوانات وذبحها للإنسان.فقال له الآمدي إهلاك المفضول لمصلحة الفاضل هو عين العدل.فقال له الرازي إذًا يحسن ذبحك أنت لأبي علي بن سيناء"**[4].

يعدّ الاسشهاد ظاهرة مميّزة عند المفكّرين، إذ استدل بواسطتها "ابن خلدون" في قضاياه جميعا، وذلك لحاجته في مثل تلك الموضوعات إلى هذا النّوع من الاستدلال،مثلا" **ومن أحسن مذاهب التّعليم ما تقدّم به الرشيد ليعلّم ولده،قال خلف الأحمر: بعث إليّ الرّشيد في تأديب ولده محمّد الأمين...**"[5] وهي كثيرة، ففي التعليم وفضله، يشير إلى أثاره على الحضر دون البدو"**إنّما الذي ظهر على أهل الحضر من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم، فإن لها أثارا ترجع إلى النفس كما قدّمناه، وكذا أهل المشرق لما كانوا في التّعليم والصّنائع أرسخ رتبة وأعلى قَدَمًا وكان أهل**

---

[1] : ابن خلدون: المقدّمة،ص438.

[2]: ينظر، طه عبد الرحمن:اللسان والميزان، ص 135 .

[3] : عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع،دراسة نظرية وتطبيقيةندار كنوز المعرفة النشر والتوزيع،الأردن،ط1 ،1437 هـ،2016 م، ص 173.

[4] : الأمير عبد القادر الجزائري :ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، ص26.

[5] : ابن خلدون: المقدّمة،ص437.

المغرب أقرب إلى البداوة..." [1] وهو يسير على هذا الطريق في مختلف الموضوعات،فعند حديثه عن كثرة العلوم في الأمصار يعطينا أمثلة عن بغداد وقرطبة والقيروان...في صدر الإسلام..

خاتمة:

اتّخذت عمليّة الإدراك في النّصين صورا مختلفة، اعتمت معظمها على الحجج العقليّة وعلى أسلوب الإقناع والتّأثير:انطلاقا من التّحاجج في وضعيّات معيّنة،ركزا فيها على دور الحجاج بالفكر والعلم .

كانت ظاهرة الاستشهاد في النّصين من الظّواهر المطّردة، لإسهامها في عمليّة التّوضيح وبساطتها في الاستدلال فلا تخلو قضيّة من شاهد ما، وهذه الشّواهد تنوّعت ما بين أقوال مأثورة وأفكار متداولة مسلّمة، أو أبيات شعر، وغيره، كما كان للقرآن نصيب كبير.

على الرغم من الاختلافات البسيطة التّي لوحظت في فصول وأبواب الكتابين إلاّ أنّ الموضوعات المتناولة تكاد تتطابقان:فكلاهما عالجا قضيّة الفكر والعقل، والعلم وأنواع العلوم والعلوم الشرعية والأنبياء والتعليم وطرقه وسند التّعليم وعلاقته والصنائع والشعوب وفضل الكتابة وأنواعها وأصلها..

يمكن القول إنّ منهج"الأمير"في كتابه لا يختلف عن منهج"ابن خلدون" سواء من حيث طريقة الطرح أو المناقشة والعرض،وإن أفاض أحدهما دون الآخر،كما أن وقائع الاستدلال والقياس عندهما سارت على نمط واحد .

من المهم أيضا أن أشير إلى أنّ قضيّة معالجة الموضوع ومناقشته قد تمّت بواسطة أسلوب المحاورة المتصل بالواقع والذّي يثير القضيّة من خلال روابطها الاجتماعيّة ، وعليه كانت علل المفكرين تتّخذ طابعها التّداولي وتعبّر ،في الوقت نفسه، على قدرة الرّجلين في تحليل أوضاع عصريهما والتّركيز على خدمة المجتمع بما يجمع بين الحقيقة الوضعيّة والحقيقة الشّرعيّة.

[1] :المصدر نفسه، ابن خلدون: المقدّمة،ص322.

قائمة المصادر والمراجع

I. المصادر

1. ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد): المقدّمة،نواف الجراح،دار صادر،بيروت،لبنان،ط2 ، 2009.
2. الأمير عبد القادر الجزائري(بن محي الدين): ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،1271 هـ،(مخطوط قديم).

II. المراجع

1. الباهي (حسان): العلم والبناء الحجاجي، إعداد حافظ إسماعيل علوي" الحجاج ،مفهومه ومجالاته"،ج1 (حدود وتعريفات)، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1 ،1431 هـ،2010
2. جيمس(وليم): البراغماتية ،تر وليد شحادة ،دار الفرقد للنشر والتوزيع،سوريا، ط1 ، 2014.
3. أبو حامد الغزالي(محمد بن محمد الغزالي الطوسي):قانون التّأويل،تح محمد زاهد بن الحسن الكوثري،مطبعة الأنوار،ط1 ، 1359 هـ-1940 م
4. الحباشة (صابر): التداولية والحجاج،مداخل ونصوص،صفحات للدراسات والنشر، دمشق،ط1، 2008
5. السيد الكفراوي(أسعد عبد الغني): دارالسلام للطباعة والنشر والترجمة القاهرة ،ط1 ، 1423 هـ/2002 م
6. . شارودو(باتريك):الحجاج بين النظرية والأسلوب،عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر أحمد الودرني،دار الكتاب المتحدة،لبنان،ط1، 2009
7. لشريف الجرجاني. (علي بن محمد بن علي الزين):التعريفات، تح مجموعة علماء، ج1 ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،ط1 ، 1403هـ -1983م
8. صولة (عبد الله):في نظرية الحجاج،دراسات وتطبيقات،مسكيلياني للنشروالتوزيع،تونس،ط1 ، 2011
9. طه (عبد الرحمن): التواصل والحجاج ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،سلسلة الدروس الافتتاحية ، أكادير،الرباط مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب ،1993-1994
10. عبد الرحمن(طه): اللسان والميزان،أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،بيروت،ط1، 1998
11. العزاوي(أبوبكر):اللغة والحجاج،العمدة في الطبع،1426 هـ -2006.

12. قادا(عبد العالي): بلاغة الإقناع،دراسة نظرية وتطبيقيةندار كنوز المعرفة النشر والتوزيع،الأردن،ط1 ،1437 هـ،2016 م،

13. كاظم صادق(مثنى): أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي،تنظير وتطبيق عل السورالمكيّة،منشورات ضفاف،لبنان، منشورات الاختلاف،الجزائر،داركلمة،تونس، دار عدنان،بغداد ،ط1 ،1436 هـ،2015

14. ابن منظور(محمد بن مكرم بن على،أبو الفضل،جمال الدين): لسان العرب،ج8 ، باب النون، مادة (ن ظ ر)تح مجموعة أساتذة،دار الحديث،القاهرة،1433 هـ/2003 م

15. بن وهب الكاتب(أبو الحسن اسحاق ابن ابراهيم ابن سليمان): البرهان في وجوه البيان، تح حفني محمد شرف،مطبعة الرسالة،القاهرة 1969 .